التواصل التعليمي؛ مفهومه، عناصره ومشكلاته

Pedagogical communication; concept, elements and problems

شفيقة بن الشارف[1]، صفية طبني[2]

[1]مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة بسكرة(الجزائر)، chafika.bencharef@univ-biskra.dz

[2]مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة بسكرة(الجزائر)، safia.tobni@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/05 تاريخ القبول: 2021/09/13 تاريخ النشر: 2021/12/20

ملخص:

تتحدّد أبعاد هذا البحث في محاولة استقراء فعالية "المنهج التواصلي" كمقاربة تعليمية، ذلك أنّ النظرية التواصلية قد بلغ صداها مجالات عديدة وعلى وجه خاصّ مجال التعليمية، إذ انتقل التعليم من اتصال في اتّجاه واحد (معلّم ـ متعلّم) إلى تواصل يتبادل فيه الطرفان أدوار المرسِل والمستقبل ضمن حلقة تتكامل فيها الجهود لبلوغ أهداف المنهاج.

كلمات مفتاحية: التواصل التعليمي؛ المعلّم؛ المتعلّم؛ المحتوى التعليمي؛ السياق التعليمي

Abstract:

The dimensions of this research are determined in an attempt to investigate the effectiveness of the "communicative approach" as an educational approach, since the communicative theory has reached many fields, especially didactics. Teaching has moved from a one-way communication (teacher -learner) to a reciprocal communication in which the two parties exchange the roles of sender and receiver, in a circle in which the efforts are complementary to achieve the curriculum goals.

Keywords: Pedagogical communication; Teacher; Learner; Pedagogical content; Pedagogical context

المؤلف المرسل: شفيقة بن الشارف، **الإيميل**: chafika.bencharef@univ-biskra.dz

1.مقدمة :

شهد مجال تعليمية اللغات تأثّرا واسعا بـ "النظرية التواصلية"، فأحدث ذلك طفرة نوعيّة في تصميم المناهج وتنفيذها؛ فقد حظي المتعلّم في ظل "المنهج التواصلي" بدور قيادي، يصنع المعرفة ويشاركها غيره، ويعيد تنظيمها وتكييفها في مواقف تواصلية حقيقية، ينتقل فيها من التّنظير إلى التّطبيق، إنّه لم يعد ذلك الوعاء الفارغ الذي يجب أن يملأ بالمعارف، بل طرفًا فاعلًا ومُسهِمًا في تحقيق الأهداف التعليمية.

أهمية البحث وأهدافه:

تبرز أهمية البحث من أهمية المتعلّم ودوره في العملية التعليمية بكلّ أبعاده؛ المعرفية، والنفسيّة، والمهارية. ولبلوغ غايات التعلّم ينبغي أن يُنظر إليه كطرف جوهريّ؛ إنّه المنطلَق والهدف في آن واحد. ولذلك فإنّ العملية التعليمية تسعى إلى بنائه بشكل متوازن يضمن تكوين فرد فاعل اجتماعيّا، بإشراكه فيها وتعزيز دوره وتفعيله بما يكفل له التوافق والانسجام مع معلّمه وأقرانه.

لذلك تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية التواصل في مجال التعليم، من خلال إشراك المتعلّم في تحصيل المعرفة وتبادله الأدوار مع المعلّم دون احتكارها، وممارستها بشكل منفتح يتقبّل فيه المعلّم شريكا له في تسيير وتنظيم التّعلّم، يسعى إلى إشباع حاجاته العقلية، والوجدانية، والحسّ-حركية في فضاء تربوي وتعليميّ يحقّق له مساعيه العلميّة والاجتماعيّة.

إشكالية البحث:

تعتمد العملية التعليمية على استعمال اللغة وتداولها، فلا تعليم بدون لغة أو تواصل. ومنه انبثقت إشكالية البحث لإماطة اللثام عن:

- ماهية التواصل التعليمي والعناصر المشاركة فيه.
- معوّقات التواصل التعليميّ الفعّال؛ اللغوية وغير اللغوية.

فرضيات البحث:

تتأسّس الدراسة على فرضيات أهمّها:

-هناك استفادة واضحة في حقل التعليمية من النظرية التواصلية.

-يوجد تواصل تعليمي قائم على عناصر متكاملة الوظائف.

-يؤدّي المتعلّم دورا محوريّا في العملية التواصلية التعليميّة.

-تزداد دافعية التعلّم في ضوء التواصل التعليمي.

منهج البحث:

بعد تحديد إشكالية البحث وأهدافه وفرضياته، تطلّب اعتماد الدراسة على المنهج الوصفيّ، الذي يهدف إلى الكشف عن مدى فاعلية المقاربة التواصلية في العملية التعليمية؛ بتحديد مفهوم التواصل التعليمي، وأقطابه المتداخلة من حيث الأدوار والخصائص، ليقف البحث على أهمّ معيقات تطبيق هذه المقاربة في حقل التعليمية سواء تعلّق الأمر بالجانب اللّغوي أو غير اللّغوي.

2. ماهية التواصل (Communication):

شهد لفظ التواصل ورودا في قطاعات معرفية كثيرة، فاكتنفه الغموض، وتمايزت دلالاته حسب نطاق استعماله، وهذا يجعلنا أمام زخم مفهوميّ بسبب دخوله في ترادف واشتراك مع غيره من المفردات، مثل: إعلام، حوار، محاورة، إبلاغ، مجادلة، مناقشة.

ورغم ما تقدّم سنحاول رصد بعض المفاهيم المختلفة والمتكاملة الجوانب، سعيا منا لتحديد دلالة واضحة للمصطلح.

2.1الدّلالة اللغوية:

ورد في لسان العرب في مادة (و–ص–ل): " وَصَلَ، وَصَلت الشّيء وصلا وصِلة، والوصل ضدّ الهجران [...] واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع، ووصل الشيء إلى الشيء وصولا وتوصّل إليه وبلغه، ووصّله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه إيّاه" (ابن منظور، 2008، صفحة 862).

وفي المعجم الوسيط وردت عدّة مفاهيم مستمدّة من بعض المعاجم، ولا يُعثر فيه على تعريف علميّ للتواصل، ويمكن إيراد بعض الشروح اللغوية: (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 1037).

- وصل الشيء بالشيء وَصلا وصلة (بالضم والكسر): ضمّه به وجمعه ولَأَمَه.
- والمكان، وإليه وُصُولا، ووُصْله، وصِلَة: بلغه وانتهى إليه.
- أوصله الشيء، وإليه الشيء: أنهاه وأبلغه إياه.
- واصَله مُواصَلة ووِصالا، وَصَله: ضدّ هجره.

وأما في المعاجم الانجليزية، فيشير قاموس أكسفورد(OED, 2021) أنّ كلمة اتصال(communication) يعود أصلها الى اللاتينية ((communicatio(n-) من الفعل (communicare) والذي معناه (شارك). ولها عدة معان:

1. اتصال (اسم جماعي): نقل المعلومات أو تبادلها عن طريق التحدث أو الكتابة أو استخدام وسيلة أخرى. ويرادفه: إبلاغ، إخبار، وإرسال.

2. اتصال (اسم معدود): خطاب أو رسالة تحتوي على معلومات أو أخبار. ويرادفه: بلاغ، تقرير، وبيان.

3. اتصال: نقل الأفكار والمشاعر أو مشاركتها بنجاح. مثلا: هناك نقص في التواصل بين باميلا ووالديها.

4. اتصال: تواصل اجتماعي. ويرادفه: علاقة، تعامل، تحادث، وتبادل. (OED, 2021)

ومن ذلك، فإنّ التواصل في المفهوم اللغوي يعني الرّبط بين طرفين، وهو بهذا ضدّ الانفصال والانقطاع، لأنّه يعني وجود علاقة بينهما (المرسل والمستقبل). ومصطلح التواصل (communication) ذو دلالة لغوية مشتركة مع بعض المصطلحات: كالإخبار، والإعلام، والإرسال وغيرها من الكلمات التي تعني الإبلاغ (information).

2.2الدّلالة الاصطلاحية:

لقد تعدّدت تعريفات التواصل كونه مجالا خصباً يشمل جميع الممارسات الاجتماعيّة بمختلف ميادينها، ويختلف معنى التواصل باختلاف بيئته وأهداف إجرائه، والأطراف المشاركة فيه.ومن التعريفات العديدة التي صيغت للتواصل نسوق بعضها فيما يلي:

- "هو نقل المعلومات من مرسِل إلى متلقي بواسطة قناة. يستلزم ذلك النّقل من جهة وجود شفرة ومن جهة ثانية تحقيق عمليّتين اثنتين: ترميز المعلومات وفكّ الترميز، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث أثناء عملية التواصل وكذلك أشكال الاستجابة للرسالة والسياق الذي يحدث فيه التواصل." (حجازي، 1982، صفحة 14)

- مجموع ما ينتجه الإنسان عبر لغته وأشيائه وجسده وإيماءاته وطقوسه ومعماره. (بن كراد، 2004، صفحة 3)

وجاء في معجم اللسانيات والصوتيات لديفيد كريستال (Crystal, 2008, p. 89) أن:

- اتصال (اسم): مفهوم أساسي في دراسة السلوك، والذي يعمل كإطار مرجعي للدراسات اللغوية والصوتية.

- يشير الاتصال إلى إرسال واستقبال المعلومات ("رسالة") بين المصدر والمستقبل باستخدام نظام إشارات.

- في السياقات اللسانية، يكون المصدر والمتلقي عناصر بشرية، ويكون النظام المعني هو اللغة .

- من الناحية النظرية، يُقال إن الاتصال قد حدث إذا كانت المعلومات الواردة هي نفسها التي تم إرسالها .

- يمكن أن يحدث الاتصال البشري باستخدام أي من الأوضاع الحسية المتاحة (السمع، البصر،إلخ) .

- المقارنة التي يتم إجراؤها غالبًا، لا سيما من قبل علماء النفس، هو بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي للإشارة إلى السمات اللغوية مقابل السمات غير اللغوية للتواصل وذلك مثل تعبيرات الوجه والإيماءات وما إلى ذلك، سواء في البشر أو الحيوانات.

وتأسيسا على ما سبق، يمكننا القول أنّ التواصل عملية فيزيولوجية ونفسيّة، تستلزم طرفين أساسيين هما المرسِل والمتلقّي، لنقل الأفكار، والمعلومات، والإفصاح عن مكنونات النّفس، عن طريق استعمال الرّموز اللغوية، ومصاحباتها (الحركات الجسدية، والإيماءات)، ضمن سياق اجتماعيّ معيّن.

3. التواصل التعليمي:

التّواصل في حجرة الدّرس أو المؤسّسة التّربويّة، دعامة أساسيّة في المناهج التعليميّة الحديثة، يتيح لأطراف العملية التعليمية التعلّمية فرصة للتفاعل في القسم، وتبادل المعارف والخبرات والمهارات.

1.3 تعريفه:

ورد "التّواصل التّعليميّ" في "معجم المصطلحات التربوية والنفسية" على أنّه: "تفاعل لفظي أو غير لفظي بين معلّم ومتعلّم، أو بين معلّم ومتعلّمين، أو بين متعلّم ومتعلّم، أو بين متعلّم ووسيط تعليمي: كتاب مدرسي، آلة تعليمية، كمبيوتر تعليمي، أو بين وسط تعليمي وآخر، أو بين معلّم ووسيط تعليمي بهدف نقل الأفكار والمعارف والخبرات التعليمية، عبر قنوات معيّنة للعمل على تحقيق أهداف تعليمية محدّدة." (شحاتة و النجار، 2003، صفحة 18)

أما "المعهد الوطنيّ لتكوين مستخدمي التّربية وتحسين مستواهم" فيورده على أنّه: "نوع من التّفاعل الاجتماعيّ الذي ينطوي على مظاهر السّلوك الصّفيّ، والإدراكيّ المتبادل بين المعلّم والمتعلّم،

وهو يتحدّد في العلاقة بينهما وما تؤدّيه من نموّ معرفيّ واجتماعيّ." (وزارة التربية الوطنية، 2009، صفحة 68)

وتأسيسا عليه، يكون التّواصل في المجال التعليمي؛ تفاعل لغوي أو غير لغوي، يتمّ بطريقة منظّمة، مخطّط له مسبقا، ينبني على العلاقة بين المعلّم والمتعلّم، أو بين متعلّم ومتعلّم، أو بين المتعلّم والوسائل التعليميّة، فيسوده التّفاعل والتّكامل (التّأثّر والتأثير) المتبادلين بين أطراف التواصل، لتحقيق غايات شتّى.

2.3 أهمية التواصل التعليمي:

ينتصر "صالح بلعيد" للتواصل التعليميّ بقوله: " لقد ولّى ذلك العهد الذي كان فيه التّمجيد للرّؤوس المملوءة، وأصبح الهدف التربويّ الآن توخّي العقول المنظّمة وفق تعليم منسجم قائم على تشغيل كافّة قدرات المتعلّم وقِيمه الوجدانية والسّلوكية، كما أصبح الاتّصال التربوي يأخذ أشكالا متنوّعة، بالتّركيز على المرسل أو القناة، أو المستقبِل أو على العلاقات المتبادلة في إطار شبكة عامّة، باعتبارها تمثّل العلاقات الاجتماعية بين المربّي والمتعلّمين لتحقيق أهداف تربوية داخل بنية مؤسّسية مضمّنة لخاصّيات معرفية ووجدانية" (بلعيد، 2000، صفحة 48). فمن هذا المنظور فالتعليم والتّعلّم، لا يحدثان دون تواصل بين عناصر الفعل التعليميّ، التي تسعى متظافرة في تفاعل مستمرّ وتكامل لتحقيق الأهداف المنشودة من العمليّة التّعليميّة.

كما يسهم التواصل التّعليمي في ترتيب العلاقة بين المعلّم والمتعلّم وتوزيع الأدوار بينهما، وتعميق المعرفة وترسيخها وتجسيدها في مواقف حقيقيّة يواجهها المتعلّم في حياته اليوميّة. إنّه أسلوب حيويّ يضفي على العملية التعليمية حركيّة ونشاطاً نتيجة التّفاعل بين المعلّم والمتعلّم، ممّا ينعكس على علاقتهما التي تقوم على التّفاهم والانسجام في أداء الأدوار، ويُسهم في تحسين التّحصيل الدراسيّ بعيدا عن المشكلات التي واجهتها الأساليب التّقليديّة.

3.3 عناصر التواصل التعليمي:

يرتكز التّواصل التّعليميّ على مجموعة من المكوّنات، وهي:

1.3.3 المعلّم/ المرسل (Sender):

المعلّم طرف أساسيّ في العمليّة التواصلية، "وهو غالبا من يبدأ عملية الاتصال، وأحيانا يتحوّل من وضع الإرسال إلى الاستقبال حين يستمع إلى متعلّميه، أو يتعرّف إلى وجهات نظرهم." (بشر، جامل، و

أبوزيد، 2014، صفحة 20) وللمعلّم مهارات مهنية ينبغي توافرها لتحقيق غايات التواصل التعليميّ، وتصنّف حسب سيرورة التواصل إلى ثلاثة أنواع (عطية، 2008، صفحة 78):

أ- مهارات التصميم:

- تحديد الأهداف التي تسعى عملية الاتصال إلى تحقيقها.
- اختيار الأساليب والإجراءات التي تتمّ بها عملية التواصل.
- اختيار بيئة الاتصال الملائمة... وغيرها

ب- مهارات التنفيذ:

- تنظيم مجال الاتصال بطريقة تضمن نجاحه.
- تعريف المستقبِلين بأهداف الرّسالة.
- إثارة دافعيّة المتعلّمين.
- معالجة العوامل الدّخيلة المؤثّرة في وصول الرّسالة وفهمها.
- إشراك جميع المستهدَفين في عمليّة الاتصال.
- تعديل الرّسالة في ضوء استجابة المستهدَف.

ج- مهارات التقويم:

وتعدّ عملية التقويم ضرورية في العملية التواصلية، بها يتمّ الحُكم على مدى تحقّق أهداف التّواصل، ويجب أن يكون التّقويم تشخيصيّا وعلاجيّا؛ بتحديد مواطن الضّعف فيعالجها، ومواطن القوّة فيعزّزها، وهذه العملية تتطلّب التّمكّن من:

- طرح الأسئلة اللازمة لقياس الأهداف.
- ملاحظة المستهدَفين وردود أفعالهم.

2.3.3 المتعلّم/المستقبل (Receiver):

يتعزّز دور المتعلّم في المقاربة التواصليّة ليصبح العنصر المحوريّ في العملية التعليمية، لأنّه المستهدَف بالرّسالة والطّرف المحرّك والفاعل في عملية التواصل، إنّه "المستقبل، وأحيانا يتحوّل من وضع المستقبل إلى وضع المرسِل، حين يبدي رأيه، أو يسأل معلّمه، إلخ." (بشر، جامل، و أبوزيد، 2014، صفحة 21)

ولنجاح عمليّة التواصل ينبغي أن يتميّز المتعلّم بمجموعة من الخصائص الجسميّة، واللغوية، والنفسيّة، ومنها (طعيمة، 2004، صفحة 161):

- سلامة حواسّه في استقبال الرّسالة (الأذن والعين)
- قدرته على فكّ الرّموز التي وصلت إليه.
- درايته باللغة التي يستقبل بها الرسالة.
- أُلفته بالمرسِل ومعرفته لعاداته في الحديث والكتابة.

3.3.3 المحتوى التعليمي/ الرسالة (Message):

هو مدار وغاية التواصل التعليمي. إنّه "المكوّن الثاني لأيّ منهج تعليمي، يأتي في التّرتيب بعد المكوّن الأول وهو "الأهداف"، ويشمل محتوى المنهج كافة الخبرات والمعارف والمعلومات والمهارات والاتجاهات التي يسعى المنهج إكسابها للمتعلّم. كما يشير أيضا إلى المعلومات المكتوبة، والمصطلحات، والمفاهيم، والمبادئ، والقوانين، والنظريات، والرسوم التوضيحية، والأنشطة، والتمرينات، والأسئلة والاختبارات...الخ، المنصوص عليها في وثيقة المنهج التي تكون غالبا الكتاب المدرسي." (صبري، 2010، صفحة 12)

وينبغي للمحتوى أن يتوافر على مجموعة من الخصائص لتحقيق تبادله أو تبليغه للمتعلّم، ومنها: (طعيمة، 2004، صفحة 160)

- التّرتيب المنطقيّ للأفكار.
- دقّة المفردات والعبارات في التّعبير عن الأفكار.
- بساطة التّراكيب اللّغويّة.
- صحّة اللّغة التي نُقلت من خلال الأفكار.
- وضوح المفاهيم والمصطلحات وقلّة عددها.

4.3.3 الوسائل التعليمية/ القناة (Medium / Channel):

سمح التطوّر التكنولوجي بإيجاد قنوات اتّصال (الوسائل التعليمية) متنوّعة، سواء كانت؛ سمعية، أو بصرية، أو سمعية بصرية، بما تتيحه للمتعلّم من متعة التعلّم واستمراره وبلوغ مقاصده بتنويعها لطرائق التعليم، ممّا يبعث النّشاط والحيويّة في نفوس المتعلّمين. وتحقيق التواصل التعليميّ الفعال – بواسطة توظيف الوسائل التعليمية– يتوقّف على حُسن اختيار المعلمّ للوسيلة التّعليمية المناسبة لعملية التواصل (تبليغ المحتوى)، واختيار الوسيلة التعليمية يراعي اعتبارات منها: (الطويجي، 1987، صفحة 57)

- توافق الوسيلة مع الغرض الذي نسعى لتحقيقه.

- صدق المعلومات التي تقدّمها الوسيلة ومطابقتها للواقع وإعطاؤها صورة متكاملة عن الموضوع.
- مدى صلة الوسيلة بمحتويات الدّراسة.
- مناسبة الوسيلة لأعمار التلاميذ ومستوى ذكائهم وخبراتهم السابقة التي تتصل بالخبرات الجديدة التي تهيؤها هذه الوسائل.
- أن تنمّي قدرة التّلاميذ على: التّأمّل، والملاحظة، وجمع المعلومات، والتفكير العلمي.

5.3.3 السياق التعليمي (Context):

تحدث العملية التواصليّة التعليمية في بيئة ذات أبعاد خاصّة، تشمل جميع الظروف المادية والمعنوية التي تحيط بالنّظام التعليمي من "أبنية تعليمية وأثاث وتجهيزات تعليمية، كما تشمل الظروف الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والثقافية، وكذلك ظروف الطقس والمناخ، والإضاءة المحيطة بموقع المؤسسات التعليمية." (شحاتة و النجار، 2003، صفحة 87) ويقع على عاتق المعلّم توخّي السياق المناسب لرسالته "إذ أنّ السياق الذي يبثّ فيه رسالته يلعب دورا هامًّا لا يستهان به في محتوى وشكل الرسالة التي يودّ المرسل تبليغها."(طعيمة، 2004، صفحة 162)

6.3.3 التغذية الراجعة (Feed Back):

وتعني "عملية تنظيم وضبط عمل منظومة ما بصورة مستمرّة، وتهدف التغذية الراجعة إلى التّأكّد من أنّ مُخرجات المنهج التي تمّ الحصول عليها كانت مناسبة لكلّ من المدخلات والعمليات، أو أنها تحتاج إلى تعديلات لتحسين نوعية المخرجات." (اللقاني، 2013، صفحة 34) إنها تهدف إلى تحديد نتائج التعلّم؛فيتمكّن المتعلّم من تحديد نقاط قوّته في عملية التواصل ويتفادى الأخطاء، بما يضمن للعملية التواصلية نجاحها.

4.3 خصائص التواصل التعليمي:

يتميّز التواصل في العملية التّعليمية بمجموعة من السّمات التي تفرده في الماهيّة عن بقية أنواع التواصل، ومن هذه الخصائص نذكر:(الجيوسي، 2014، صفحة 20):

الاستمرارية: فالتواصل التعليمي يتمّ بصورة مستمرّة يواكب الفعل التعليمي عبر الزّمن، وهو يؤكّد أنّ العملية التواصلية مرتبطة بما قبلها وما بعدها. إنّه مرتبط بخبرات ماضية لبناء خبرات جديدة، وعليه يكون التواصل التعليميّ مرتبطا بما سبقه ممهّدا لما يلحقه.

الشّيوع: إذا كانت الاستمرارية ذات صلة بالزّمان، فالشيوع يرتبط بالمكان، والتواصل باعتباره ذو طبيعة اجتماعية، فهو يتمّ في مختلف الأماكن، والمدرسة مرتع خصب لهذا الحدث.

التّعقيد: ويتّسم التواصل التعليميّ بالتعقيد كونه يتضمّن عناصر كثيرة: أطرافه، ومكوّناته، وأشكاله، والعوامل المؤثرة فيه.

التفاعل: إنّ التفاعل بين المعلم والمتعلّم، يمنح التعلّم النشاط ويبعث فيه الحيوية؛ إرسالا واستقبالا وتغذية راجعة، ممّا يُثريه وينمّيه.

الدّينامية: فالحدث التواصليّ متغيّر لا يستقرّ على حالٍ، حسبما يجري بين أطرافه، وصوره، والعوامل الدّخيلة عليه.

التزامن والتعاقب: بحيث يتمّ الإرسال والاستقبال بشكل مباشر بين المعلّم والمتعلّم، وقد يحدث متعاقبا بالتّوالي.

التّأثير: إذ أنّ التواصل التعليميّ ينطوي على إمكانات التّأثير في المتعلّم، لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة.

الأخلاقية: يتمّ التواصل في البيئة التعليمية لتحقيق أهداف محدّدة بسبُل شتّى، وذلك يتأسّس بشكل رئيسيّ على قول الحقيقة بصورة مؤثّرة وفعّالة، بعيدا عن المراوغة والتحايل، في إطار أخلاقيّ يكفل له النجاح والاستمرارية.

4. أنواع التواصل التعليمي:

يتفرّع التواصل في العملية التعليمية إلى عدّة أنواع، وقد انصبّ اهتمامنا على تحديد أنواع التواصل من حيث جوانب نمو المتعلّم وأهداف التّعلّم، وهي:

1.4 التواصل المعرفي:

تتضمّن العملية التعليمية نقل وتبادل المعلومات والخبرات والمعارف بين المعلّم والمتعلّم، لتحسين إنتاجيّته ومردوديّته. و"الرفع من الإنتاجية المعرفية يتمّ عبر سلوكيات لفظيّة ديمقراطية تعتمد على روح المشاركة، وغير لفظيّة مثل حركات التّنظيم والحركات التعليمية وحركات التقويم والتّمجيد." (نصر الله، 2001، صفحة 25)

والتواصل في جانبه المعرفيّ، يسعى إلى تعليم المتعلّم: الفهم، والتطبيق، والتحليل والتركيب، والتقويم، وهي العمليات الذّهنية التي وردت في "هرم بلوم"، والتي يقوم عليها تحقيق المعرفة وتحصيلها من خلال الحوار والمناقشة بين المعلّم والمتعلّم، وهو ما يوضّحه الشّكل التّالي:

الشكل1: **مستويات المجال المعرفي**

المصدر: (مرعي والحيلة، 2000، صفحة 90)

2.4 التواصل الوجداني (أو الانفعالي/ الاجتماعي):

يتضمّن التواصل التعليميّ تأثيرات عاطفية وانفعالية، يمارسها المعلّم بغرض إحداث التغيير في سلوك المتعلّم. لأنّ "عملية الاتصال لا يمكن أن تؤثّر إلّا إذا كان لها عمق وجدانيّ [...] هو صمّام الأمن الذي يجنّب انحراف الاتصال عن بلوغ أهدافه" (الجميلي، 1997، صفحة 14).

وقد تمكّن "كراثوول ورفاقه"عام 1964، من تحديد مستويات المجال الوجداني، وهي في نظام هرميّ تتابعيّ يبدأ من البسيط إلى المعقّد، والشّكل التوضيحيّ يفصّل هذه المستويات:

الشكل2: مستويات المجال الوجداني (الانفعالي)

المصدر: (مرعي والحيلة، 2000، صفحة 93)

3.4 التواصل الجسدي (أو المهاري/ الحسّ حركي):

ويراد به "ذلك النوع من الاتصال الذي يرسل فيه المعلّم رسالته التعليمية عن طريق رموز غير لفظية، أي بطرق لا يستخدم فيها الكلمات المنطوقة، حيث يمكن للمعلّم الاعتماد على الرسوم واللوحات، والصور، والإشارات وحركات الجسم، وتعبيرات الوجه، والإيماءات، ونظرات العينين، إلى غير ذلك." (شحاتة و النجار، 2003، صفحة 21)

إنّ لغة الجسد لا تختلف في غاياتها التواصلية عن لغة الكلام، فالكثير من حركات الجسم، وإيماءات الوجه، وغمزات العينين، وحركات الحاجبين، وهزّ الرّأس، وغيرها، تحمل دلالات يتبادلها المعلّم والمتعلّم،ويوظّفانها بشكل واسع إلى جانب لغة الكلام، على اعتبارها "أنظمة دلالية عضوية تتّخذ من جسم الإنسان علامات في التواصل مع الآخرين، إنّه يتكلّم بجسمه كما يتكلّم بلسانه في بعض الأحيان" (داود، 2006، صفحة 7). ولغة الجسد في العملية التعليمية يمكنها أنْ:

- تساعد على تحديد ونقل مشاعر وأفكار المتعلّمين ممّا يعزّز ثقتهم بأنفسهم وبالآخرين.
- تساعد على بلوغ غايات وأهداف التواصل بأقلّ جهد ووقت.
- تستوعب أنماط التعلّم المختلفة (الفروق الفردية)
- تسهم في خلق جوّ تفاعليّ بين المعلّم والمتعلمين من جهة، وبين المتعلمين أنفسهم من جهة أخرى.

- تساعد على التعبير الفنّي والإبداعيّ في التواصل التّعليميّ.

وقد صنّف "كبلر وزميلاه" عام 1970 المهارات النفس- حركية إلى أربع فئات، يمكن توضيحها بالمخطط الآتي:

الشكل3: المهارات النفس حركية عند كيبلر

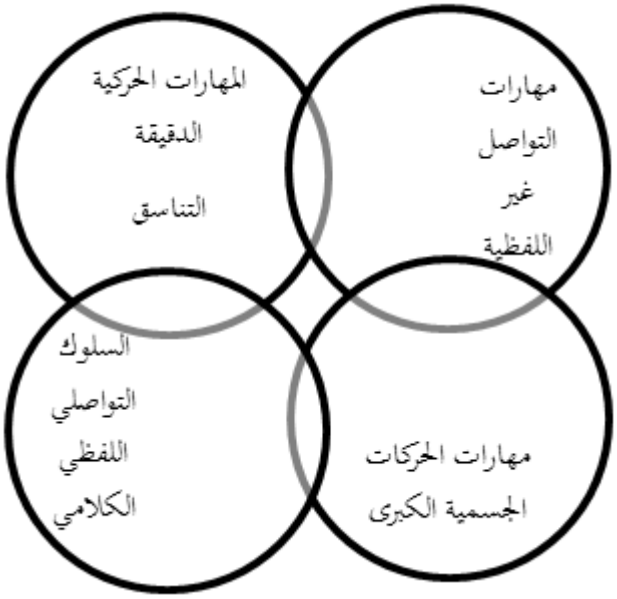

المصدر: (مرعي والحيلة، 2000، صفحة 94)

4.4 التواصل اللغوي:

"ويعتمد هذا النّوع من التواصل على اللّفظ أو الكلمات، حيث يشمل لغة الكلام والحديث والكتابة أو غير المكتوبة." (الجميلي، 1997، صفحة 25)

ففي التواصل التعليميّ اللفظي "يقوم المعلم بإرسال الرسالة التعليمية، وتوجيه المتعلّم والرّدّ على استفساراته وتساؤلاته من خلال الحديث المباشر."(شحاتة و النجار، 2003، صفحة 21)

وبذلك فالتعبير عن المعارف والخبرات والمشاعر ونقلها بين المتخاطبين يتمّ بمظهرين (الجميلي، 1997، صفحة 48):

المظهر الشفويّ: ويتمثل في المحاضرة، الندوة، المناظرة، المؤتمر، حلقة المناقشة، الاجتماع، الحديث، الخطبة، المقابلة.

المظهر الكتابيّ: ومن بين وسائله الخطابات، المذكّرات، المقالات والنّشرات، التقارير، صحف الحائط، الكتب، الصحف اليومية، القصة.

والتواصل اللّفظي في العملية التعليمية نوعان (سبيتان، 2010، صفحة 38): الأوّل وظيفيّ يؤدّي وظيفة خاصّة في حياة الفرد والجماعة، والثاني إبداعيّ: يكون غرضه التعبير بأسلوب أدبيّ عالٍ، بهدف التّأثير في نفوس السّامعين أو القارئين.

5. التواصل التعليمي وتكنولوجيا الاتصال (الإعلام).

خلقت تكنولوجيا الاتصال وسائط ومُعينات تحمل الرّسالة من المرسِل إلى المستقبِل، تستعمل متكاملة مع المحتوى الدراسيّ لتزيده وضوحا، وتساعد على التعلّم الفعّال، وهي تتنوّع لتشمل: الوسائل البصرية، الوسائل السمعية، والوسائل السمعية البصرية. ليصبح بموجبها الاتصال بين المعلّم والمتعلّم نظاما متكاملا، وأكثر فاعلية بانسجام عناصر النظام التعليمي. والمخطط التالي يوضّح ذلك:

الشكل4: مخطط تداخل عناصر النظام التعليمي

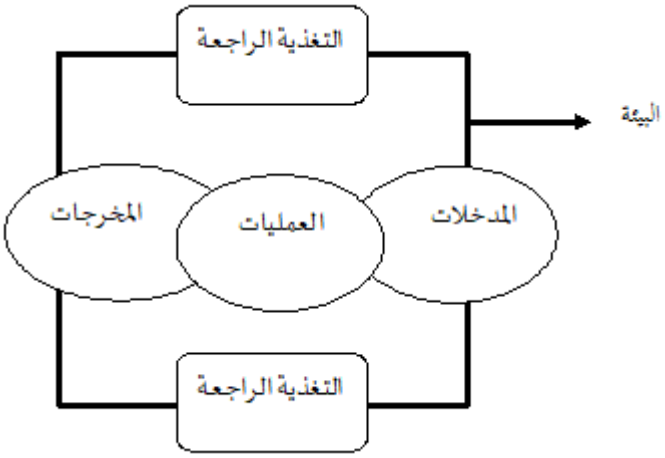

المصدر: (عطية، 2008، صفحة 27)

قدّمت وسائل الاتصال إمكانيات عظيمة لمجال التربية والتعليم (الطويجي، 1987، صفحة 22) إذ:

- أسهمت في تحسين عملية التدريس باختصارها للوقت والجهد.
- قدّمت أساليب جديدة للتعليم عالجت الكثير من مشكلات التعلّم.
- زيادة شغف المتعلّمين بالمعرفة واستمرار البحث والاطلاع.

كما ساعدت كلّا من المعلّم والمتعلّم من تنويع قنوات التواصل، والاستفادة ممّا توفّره من منافذ متنوّعة لتحقيق غايات وأهداف التواصل في عصر تميّزه "تكنولوجيا التعليم".

6. معوّقات التواصل التعليمي:

التواصل التعليمي يمكن أن يصيبه الخلل أو الإخفاق، فتظهر آثاره السلبية على الرسالة (المحتوى التعليمي)، وبالتالي على الأداء (التحصيل الدراسي)، فتحول دون بلوغ الأهداف والغايات المنشودة في المنهاج. وتتداخل عدّة عوامل تؤثّر بشكل مباشر أو غير مباشر على أطراف العملية التعليمية. ويمكن تصنيف هذه المعوّقات إلى:(الهاشمي و عطية، 2014، صفحة 66)

أ- معوّقات حسّية: فالحواسّ منافذ توصل محتوى الرسالة، وعندما يكون هناك قصور في حواسّ المتعلّم كضعف البصر أو ضعف السمع أو مشكلات في النطق، فإنها تتسبّب في عرقلة وصول الرسالة على أكمل وجه، والقصور العضويّ يتطلّب من المعلّم تكييف طريقة الإرسال، وتوفير الظروف التي تمكّن المتعلّم من الاستقبال الناجح.

ب- معوّقات لفظية: قد يكون للغة المعلّم وأسلوبه تأثير سلبي على التّلقي، فحين يستعمل ألفاظا- بحجّة كفاءته اللغوية- لا تتوفّر في المعجم اللغوي للمتعلّم فإنّه لا يتمكّن من تحديد دلالتها، كما أنّ سيطرة بعض الصّيغ والتراكيب على لغة المعلّم بكثرة الشّرح والتبسيط لأمر واضح للمتعلّم، يؤدّي إلى الملل والضّجر.

ج- العوامل الدّخيلة: وهي نوعان:

- العوامل الداخلية: وهي كلّ ما يتسبّب في شرود المتعلّم وانشغاله وقد تكون عوامل داخلية متعلّقة بالمتعلّم وما يعترضه أو زملاءه أو ذويه من قضايا طارئة، أو بسبب طريقة الإرسال والعرض، مما يتطلّب من المعلّم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين، وتنويع طرائق التعليم لإضفاء عنصر التشويق.

- **العوامل الخارجية:** وتتفرّع إلى قسمين؛ الأول يتعلّق ببيئة التواصل، يطلق عليه "التشويش الميكانيكي"، الذي يؤثر في بيئة التعلّم؛ كالحجرة التي يحدث فيها التواصل بسعتها وعدد المتعلّمين، وموقعها، والإضاءة والتهوية والحرارة، ونظافة المكان، ومستوى الهدوء.أما الثاني فمرتبط بتدنّي دافعية المتعلّم، ويعود ذلك لعدّة أسباب منها: شعور المتعلّم بعدم حاجته إلى محتوى الرسالة، أو صعوبتها، أو عدم ملاءمة أسلوب تصميم الرسالة (المحتوى) وإخراجها لقدرات المتعلّمين.

7. خاتمة:

بناءً على ما تقدّم من هذه الدّراسة، يمكننا القول أنّ النّظرية اللسانية بأبعادها التواصلية قد أثّرت بشكل واضح في تطوّر المناهج التعليمية، وأحدثت نقلة نوعيّة فيها بانتقالها من الأسلوب التلقيني إلى التواصليّ، ممّا مكّن المتعلّم من تبوّئ المكانة التي يستحقّها، وأعادت له الاعتبار في قيادة التّعلّم.

وخلاصة البحث يمكن إدراجها في مجموعة من النتائج نذكر منها:

- التواصل التعليميّ صورة من صور التفاعل الاجتماعي، تتشارك فيه أطراف العملية التعليمية؛ المعلّم والمتعلّم والكتاب، يحدث في ظروف خاصّة، وتؤثّر فيه عوامل: معرفية، نفسية، انفعالية.
- يفتح التواصل التعليميّ منافذ جديدة للمعرفة يؤدّي فيها المتعلّم دورا محوريا.
- للمعلّم في المقاربة التواصلية دور يقوم على توجيه التّعلّم وتقويمه.
- أسهمت وسائل الاتصال الحديثة في ترقية التواصل بين المعلّم والمتعلّم بتوفير قنوات تواصل متنوّعة.
- لا يقتصر التواصل في العملية التعليمية على نقل المعرفة من المعلّم إلى المتعلّم، بل يتوسّع ليشمل جوانب نموّ شخصية المتعلّم النّفسية والحس–حركية.
- قد يعترض المعلّم والمتعلّم مشكلات تواصلية؛ لغوية وغير لغوية، يتجاوزها الطرفان بخلق قنوات اتّصال جديدة ومتنوّعة.

8. قائمة المراجع:

– المراجع باللغة العربية

1. ابن منظور، محمدبن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، (2008)، لسان العرب (الإصدار 4)، دار الفكر، بيروت.
2. بشر، وآخرون، (2014)، أساسيات التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمّان.
3. بلعيد، صالح، (2000)، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
4. بن كراد، سعيد، (2004)، استراتيجية التواصل من اللفظ إلى الإماءة، مجلة علامات(21)، مكناس.
5. الجميلي، خيري خليل، (1997)، الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
6. الجيوسي، محمد بلال، (2014)، أنا وأنت، مقدمة في مهارات التواصل الانساني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
7. حجازي، مصطفى، (1982)، الاتصال الفعال والعلاقة الانسانية في الإدارة، دار الطليعة، بيروت.
8. داود، محمد محمد، (2006)، جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية، دراسة دلالية ومعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
9. سبيتان، فتحي ذياب، (2010)، أصول وطرائق تدريس اللغة العربية، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمّان.
10. شحاتة والنجار، (2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
11. صبري، ماهر اسماعيل، (2010)، المدخل للمناهج وطرق التدريس، سلسلة الكتاب الجامعي العربي، مصر.
12. طعيمة، رشدي أحمد، (2004)، المهارات اللغوية مستوياتها تدريسها صعوباتها، دار الفكر العربي، القاهرة.
13. الطويجي، حسين أحمد، (1987)، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم، بيروت.
14. عطية، محسن علي، (2008)، تكنولوجيا الاتصال في التعليم الفعال، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمّان.

15. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (2008)، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة.
16. اللقاني، أحمد حسين، (2013)، المناهج بين النظرية والتطبيق (الإصدار 4)، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
17. مجمع اللغة العربية، (2004)، المعجم الوسيط (الإصدار 4)، مكتبة الشروق الدولية.
18. نصر الله، عمر عبد الرحيم، (2001)، مبادئ الاتصال التربوي والانساني، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان.
19. الهاشمي وعطية، (2014)، تحليل مضمون المناهج المدرسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
20. وزارة التربية الوطنية، (2009)، التواصل والتفاعل في الوسط التربوي، الجزائر.

– المراجع باللغة الإنجليزية

1. Crystal, D. (2008). A dictionary of linguistics and phonetics (6 ed.). Oxford: Blackwell.
2. Oxford English Dictionary. (2021, 02 10). Retrieved from https://www.lexico.com/definition/communication